# الغريزة الجنسيـــة

# وكيف نتحكم فيها

عبد البارى مجذوب

يجب علينا لـكي نقوم بمهمة « تربية شيء ما » أن نفهم « طبيعة » هذا الشيء . وقد بينا فى الجزء الأول من مقال « الغريزة الجنسية » (١) طبيعة هـذه الغريزة ، التى تحتم علينا « الفضيلة » أن « نقوم بتربيتها » لخيرها هى ، ولخيرنا أيضاً ، وسنحاول فى هذا الجزء أن نبين رأينا فى طريق « تربية » هذه الغريزة .

## الفضيلة نسبيـة :

يقول « اينشتين » العلامة الألمانى بضرورة « النسبية » فى الرياضيات ، ويقول « ميدلتون » عالم الاجتماع الأمريكى بضرورتها فى الاجتماع والأخلاق ، ويخيـل إلى أن كليهما صادق النظرة إلى حد بعيد ، وإلا فمن من الناس لا يقول بأن السرقة جريمة قد لا تعادلها جريمة أخرى ؟ لم يخلق هذا الانسان بعد ، ولـكننا عند ما نقرأ « بؤساء هيجو » ترانا نرثى « لجان فلجان » بدل أن نحاول عقابه على الرغيف الذى سرق ، ونعده رجل فضيلة بدل أن نقول إنه سارق أثيم ، ذلك بأنه لم يسرق لمجرد السرقة واغتصاب رغيف الخباز ، وإنما سرق لسد العوز وإغاثة عائلته الساغبة ، وكم من النـاس يسرق مثل ما سرق « فلجان » ولا ينجيه من العقاب إلا أنه هرب ؟! ! وكم من الناس يسرق فى صناعته أو فى تجارته ؟ إنهم كثيرون والله ولـكننا لا نشعر بهم لأننا نحن منهم .

وإذاً فتلك الجريمة الـكبيرة ، يمكن أن نعدها فضيلة إذا كان الدافع لها دافع خير ، وكذلك كل الرذائل ، والغريزة الجنسية فى فترات خمودها وتأججها ، تؤدى بنا إلى كثير من الرذائل والشرور غير المقصودة ، مما يمكن أن يكون فضائل على طول الخط ، لو أننا استطعنا أن « نجيد » تربيتها .

ولا أحسب أحداً يجرؤ فينـكر أمام ضميره وليس أمام النـاس — لاستحالة ذلك فطرياً بدافع الخجل — أنه فى أخلاقه الجنسية سلسلة رذائل وشرور ، قد يكون بعضها مستتراً

(١) راجع مجلة « المعرفة » الجزء الأول : السنة الثالثة

لايعرف عنه المتصلون به شيئاً ؛ ومن هنا نراهم يصفونه بأنه ابن الفضيلة البار ، خلا من كل عيب أو عار ! ! والحقيقة أن « الصراحة » خير من « التستر » لأنها تساعد المفكرين فى إيجاد العلاج على إيجاده، وإذا نحن عالجنا أكبر قدر ممكن من الأدواء الإنسانية، لأكبر عدد ممكن من أبناء الإنسانية ، فهنا فقط يمكن أن نقول إنا تقدمنا ؛ وبغير هذا فتقدمنا زيف ورذيلة .

## هل من ضرر فى وجود الميل الجنسي ؟

عرفت من الجزء السابق أن الميل الجنسى موجود عند الطفل منذ يولد ، وأنه يستمر معه حتى يقبر ؛ فهل فى وجود هذا الميل من خطر ؟ الحق أن لاضرر من وجوده على الإطلاق، بل إن وجوده — كما يجب — يذهب عنا كثيراً من المتاعب التى تصادفنا فى مستقبل الحياة ، مثل التوفيق بين رعاية الأم والزوجة فى وقت واحد ، ومثل عدم النفور من العجائز ، ومثل عدم الانصياع لدعوة الشيطان ، مما نفصله خلال هذا المقال .

يميل الانسان فى حياته إلى كثير من الأشياء ، ولكنه لايداوم الميل لها إلا إذا كان الدافع الذى جذبه إليها قوياً : فذلك الذى يميل إلى المطالعة إنما يميل إليها لأن لديه كثيراً من وقت الفراغ ، وأحب أن يقضيه بأرخص ما يمكنه الحصول عليه، فلم يجد لديه إلا القراءة، فلا يمكن أن يداوم الميل إلى القراءة إذا انتهى وقت فراغه، وذلك الذى يميل إلى الرياضة البدنية إنما يميل إليها لأنه وجد صحته فى طريق التأخر والاضمحلال ، وقد حار الأطباء فى تقديم الدواء له، ولم يبق لديه إلا تجربة الرياضة البدنية ؛ فلا يمكن أن يستمر الميل لها إذا تحسنت صحته ؛ وذلك الذى يحب أمه فقط لأنها تغسل له ملابسه وتقوم له بقضاء حاجاته ، ينقطع ميله إليها ، بمجرد ان تساعده الظروف على إيجاد الزوجة .

أما استدامة الميل فلا تكون إلا حيث الثقافة أو التربية — على حد ما يسميها بعض الناس — فذلك الذى يعرف ما يمكن أن يفيده من القراءة المستمرة، هو فقط الذى يداوم القراءة ؛ وذلك الذى يعرف ما يمكن أن يجنيه من الرياضة البدنية إذا دأب عليها ، هو فقط الذى يدأب عليها ، وذلك الذى يعتقد أن هناك فروقاً بين الأم والخادم ، هو فقط الذى يستديم له الميل إلى أمه ، وهكذا .

ولقد عرفت من الجزء السابق — أيضاً — أن الغريزة الجنسية تتخذ جملة أوضاع ، تبعاً لاحتياجات فترات النمو عند الرجل ؛ فلكى نوفر لأنفسنا السعادة الجنسية طوال حياتنا، يجدر بنا أن نضع حداً لا تتعداه بحال ما، لما ينبغى أن نكون عليه ، فى كل من هذه الفترات .

فترة الطفولة :

تنحصر غريزة الميل نحو الجنس الآخر فى الطفل ، فى ميله الشديد نحو أمه ؛ وهذا الميل له خيره وشره وحده الأوسط الذى نقصد إليه .

فالطفل الذى لايفارق أمه فى طفولته إلى خادم أو مربية ينشأ شديد الكلف بها. وعلم النفس الحديث يقول بأن ازدياد الكلف بشىء ما ، ينتج عنه العمل بما يرضاه هذا « الشىء » ، فاذا كانت الأم مهذبة ، فإنها تستطيع أن تستغل كلف طفلها بها لمصلحته ومصلحتها معاً ، بأن تحاول أن تحبب إليه عشق الجمال والأخلاق الفاضلة والعمل الصالح ، وكل ما ينادى به رجال العلم ولا يستطيعون تنفيذه لانعدام من ينفذه ، وليس من ينفذ رغائب قادة الفكر فى هذا العالم ـ وهذا رأيى الخاص ـ إلا الأم . ولما كان الكلف بشىء ما يوجب العناية بهذا الشىء ، فالطفل فى هذه الحال سوف يعنى بأمه كل العناية ، ومن هنا نكون قد استطعنا .

(١) تحقيق المثال الأخلاق.
(٢) حل مشكلة عدم البر بالوالدين .
(٣) خلق الطفل المثالى .
(٤) التقدم بالإنسانية نحو الكمال الذى نشدته منذ الأزل .

وأما شره فينحصر فى أن الأم قد لاتكون مهذبة ، وهنا تكون الطامة الكبرى على الطفل أولا ، وعلى الإنسانية ثانياً ! إذ أن هذا الكلف بالأم يدعو الطفل إلى العمل بوحى أمه فى كل شىء ، وحيث لاشىء عندها إلا ما يليه عدم التهذيب ، فإن الطفل ينشأ غير مهذب ، فيضر هو ، وبوجود الكثيرين من أمثاله تضر الإنسانية كلها ، هذا من جهة ومن جهة أخرى فإن كلف الأم الزائد بطفلها قد يؤدى إلى الحزن الدائم — وربما إلى الجنون أو الموت — إذا بعد أحدهما عن الآخر بالموت أو بالارتحال. أعرف امرأة توفى لها ابنها الوحيد وكانت تعزه فامتنعت من الأكل حتى ماتت ، وأعرف طفلا ألقى بنفسه تحت عجلات إحدى (الأوتوبيسات) بعد ذهابه مع والده لتشييع جنازة أمه . . . وفى الحياة كثير من هذه الحوادث .

أما الطريق الوسطى عندى ، فهى أن تحب الأم طفلها ، ويميل الطفل إلى أمه ، ولكن ليس إلى حد كلف أحدهما بالآخر ، ذلك لأن كلا منهما ملاق الموت أو الفراق فى يوم ما قرب أو بعد هذا اليوم ، على أن الحب يوحى مثل وحى الكلف أو أقل قليلا ، وليس من مصلحة الطفل ، ولا من مصلحة الإنسانية أن يكون هناك وحى الكلف الذى يسبب الانقياد الأعمى ، فالعمى مضرة ولو كان فى خير .

وبذلك تتحقق لنا الأغراض الآتية :

(١) تحقيق المثال الأخلاق .
(٢) حل مشكلة عدم البر بالوالدين .
(٣) خلق الطفل المثالى الإنسانى ، وليس « المثالى الأصم » .

(٤) منع العذاب الذى ينتج عن الموت أو الفراق .

(٥) قطع خط الرجعة على الأم التى قد تكون غير مهذبة .

وأولئكم الذين يفكرون تفكيراً مثالياً ، قد يضحكون من فكرتنا هذه ، ويقولون إن وجودنا فى عصر ميكانيكى قد جعلنا ننادى « بالعاطفة الميكانيكية » . ألا فليضحكوا فليس الظافر من يضحك أول ضحكة ، ولكنه الذى تصدر عنه الضحكة الأخيرة .

فترة الصبا :

والميل الجنسى عند الصبى ينحصر فى ميله نحو البقاء أو اللعب مع واحدة من لداته من الجنس الآخر ، وعند بدء هذه الفترة يجدر بنا أن نوجه كثيراً من الاهتمام إلى الغريزة الجنسية : الصبى الآن فى روضة الأطفال يلعب ويتعلم جنباً إلى جنب مع الفتاة ، دون أن يكون بينهما أية رذيلة على الإطلاق ! فلنعمل على استدامة هذه الطهارة الجنسية ، بأن نقص المربية على صبيانها وصبياتها بين الحين والآخر ، قصصاً تشعر أن الذكر للأنثى والأنثى للذكر ، خلقا ليكونا رفيقين فى الحياة ، ولا تكون الحياة سهلة ولا سعيدة إلا بهذا الترافق ؛ وهو ترافق قصدت إليه الطبيعة ووضعت له كل المسهلات اللازمة . ويجب أن يفهم الصبى أو الصبية أن الخارج على الطبيعة — وهى الممسكة بزمام الكون كله — لا يمكنه إلا أن يضر نفسه ، أما هى فلا ضرر عليها على الإطلاق ؛ بل عندها القدرة الكافية لعقابه العقاب اللازم ؛ وما الشقاء الذى يصادفه الإنسان فى حياته إلا عقاب الطبيعة لمن يخالف قوانينها ؛ فلتعمل المربية فى الروضة على أن يكون الصبى إلى جانب الصبية ، وأن يشترك الصبى والصبية فى اللعب وفى الدرس ، فإن هذا يجعل أحدهما يبدأ يشعر بضرورة الحاجة إلى الآخر ، وهذا هو أهم ما يجب أن نعمل على وجوده فى هذه الفترة من حياة أولادنا ، فإن عقل الطفل يكون كالورقة البيضاء ، إذا أمسكت بقلمك وخططت عليها شيئاً انطبع عليها هذا الشىء فلا تمحوه إلا المحاة القوية ، وعجينة مخ الطفل رخوة لينة تستطيع المربية أن تصنع منها « الرغيف » الذى تريد ، فعليها إذاً أن تكون « خبازة » ماهرة ، وإلا فالويل للإنسانية من « رغيفها » !

فترة المراهقة :

إن الانسان العادى يمكنه بسهولة أن يشعر أنه دخل دور المراهقة بتلك التغيرات الجسمانية التى تعتريه ، وهذا التغير يحدو به إلى أن يفكر قليلا فى الحال الجديدة التى جاءت إليه ؛ والمراهق الانسانى مضطر الى :

(١) السعى للحصول على رفيق سواء أكان فى عالم الحقيقة أم فى عالم الخيال .
(٢) تصريف المادة الجنسية .
(٣) تنظيم حياته كلها وفقاً للحال الجديدة .

ولا يمكن الا أن يضطر كل مراهق أو مراهقة إلى السعى لحل هذه المشاكل الثلاث ، وكما قدمنا فى الجزء الأول من المقال ، فإن المراهق من أحد الجنسين يحصل من عالم الأحياء على رفيق له يختلى به كلما حانت له فرصة ، إلا أن هذا المراهق قد تكون عنده من العيوب الخلقية أو الخلقية ، ما يجعل الحصول على أليف أمراً مستحيلا ! هنا يجد هذا المراهق نفسه يكثر من التفكير فى الرفيق الذى يريد ، ويتخيل ويتخيل حتى يستحيل « التخيل السطحى » إلى « حقيقة خيالية » فتكون الطامة الكبرى . ذلك بأن استدامة التفكير توهن كلا من العقل والجسم ، فإذا وهن العقل ، أدى الأمر إلى اختلاله — أو إلى الجنون — وهذه مشكلة كبيرة من المشاكل التى يعمل قادة الفكر على حلها ؛ وإذا وهن جسمه لانصراف أغلب الغذاء إلى الجسم لتعويضه ما يصرفه من الجهد فى التفكير ، ولتصريف المادة الحية وفق ما يمليه اختلال العقل ؛ ذهب رواء الشخص وبقيت منه رمة نتنة واهنة ، لا تصلح لأن تفيد نفسها أو تفيد العالم ؛ وهذه مشكلة ثانية .

ولعل أحدكم يحب أن يعرف الطريق الوسطى عندى .

أحب أن تعمل المدرسة ثانياً والأسرة أولا على تسهيل وجود التآلف الجنسى ؛ وليس فى هذا ضرر أيها السادة ، وليس فيه عار ؟ ! إن العامل على إيجاد التآلف الجنسى ليس مجرماً وليس من المتاجرين بالأعراض مادام الأمر ينتهى بالزواج ! ! أم إن المثال يعمى عن الحقيقة ولو كانت الحقيقة أسهل وأوضح وأقرب إلى التحقق منه ؟ ثم اعملوا على تعديل البرامج الدراسية واجعلوا من الفتى فى سن العشرين على الأكثر زوجاً ورب بيت يستطيع أن يوفر له أسباب السعادة والهناء . ولكنى قليل الأمل فى هذا . . . لأنكم تحبون أن تناموا ملء جفونكم ، ثم تغيروا بأقاتكم فى الصباح لا أكثر ولا أقل ، ومنكم علماء التربية الذين طار صيتهم ، ومنكم قادة البلاد نبه أمرهم ! ! إن المراهق مضطر إلى تصريف المادة الحية ، ومضطر إلى الحصول على رفيق ؛ وهو أيضاً مضطر إلى إعداد نفسه للحياة القادمة ، فإذا أنتم لم تساعدوه ، فلستم مربين بل مجرمين فى نظرى ، وأنا أولكم كمرب ومدير مدرسة خصوصية .

يجب أن تنتهى الدراسات فى الثامنة عشرة على الأكثر . وعامان يكفيان الأليفين لإعداد المنزل ، وحسبهما أن يظلا أغلب فترة المراهقة معذبين . . .

فترة التعاشر :

---

والطريق الوسطى عندى أن يبدأ التعاشر فى سن العشرين . ولكن ترى هل يثبت الطب لنا أن التعاشر فى مثل هذه السن لا ضرر فيه ؟ نعم . يثبت الطب ذلك بقوله إن صحة الانسان العامة

تصل أوجها فى سن العشرين ، ورأيى فى هذا من رأى دكتور واريز Warriner ؛ وفى هذه السن تكون الحساسية الجنسية على أشدها ، فإذا هى أرويت وأشبعت ، أمكن الإنسانية أن تضمن نسلا قوياً نشيطاً ، نتجت حبته عن سلالة قوية نشيطة .

وتواجهنا فى فترة التعاشر هذه مشاكل كثيرة منها :

(١) انتظام المباشرة الجنسية بلا إفراط أو تفريط .

(٢) انتظام التوالد الجنسى لضمان بقاء الإنسانية ، وعلى أن يكون النسل سليما صحيح الجسم والعقل

(٣) انتظام المستوى الأخلاقى ، بحيث لا توجد « مفرقات التآلف »

(٤) تنظيم الأسرة على أساس « تنظيم الجنس »

(٥) تنظيم المجتمع على أساس « تنظيم الأسرة »

فأما عن تنظيم المباشرة الجنسية ، فالرأى عندى أن يذهب المتعاشران إلى طبيب يفحصهما فحصاً جيداً بدقة وعناية ، وعليهما بعد ذلك أن يسيرا فى المباشرة الجنسية وفقاً لتعليمات الطبيب ، أعرف بعض الأزواج من الذكور ، انتهزوا فرصة وجود الأليفة فى متناول أيديهم ، فأفرطوا فى الأداء الجنسى فى الأشهر الثلاثة الأولى إلى حد إصابتهم « باضطراب عصبى عنيف » نتج عنه « ارتخاء ابتدائى » ؛ وأعرف بعض الأزواج من الإناث أصبن بقروح فى الجهاز التناسلى لزيادة المباشرة الجنسية على الحد المطلوب . أما الإنسان العادى فعليه أن يؤدى المباشرة الجنسية مرة واحدة فى الأسبوع .

وما أجمل تعليمات « مكفادن » فى هذا الصدد ! إنه ينصح الأزواج - ذكوراً وإناثاً - بالافتراق فى النوم ، لأن النوم فى فراش واحد يسبب نوعاً من التهيج الجنسى غير المقصود ، مما لا يمكن تفاديه إلا بالافتراق فى النوم ؛ وينصحنا العارفون بالابتعاد عن التدخين والخمور وتناول المكيفات ، والذهاب إلى المراقص ، ورؤية الروايات الخليعة أو قراءتها ؛ كما ينصحنا « ستاندول » بعدم ارتداء الملابس الشفافة وعدم النوم على الفراش الوثير فإن هذه كلها من المهيجات الجنسية ؛ وخير لنا أن نتمتع بالأليفة أكثر ما يمكن من المرات فى أكبر زمن ممكن ، بدل أكبر عدد من المرات ، فى أقصر مدة .

فإذا سارت المباشرة الجنسية بين الزوجين على هذا الأساس المنظم ، فإنه لا ينتج عنها إلا نسل سليم صحيح الجسم والعقل ، وهو النسل الذى يسعى قادة الفكر فى إيجاده منذ أقدم العصور حتى الآن دون جدوى ، نظراً لما يغرقون فيه من خيال عميق ، ووعظ زائف .

يتوهم بعض الناس أن المدة بين ولادة وأخرى هى شىء يسير على نظام يختلف باختلاف

طبيعة المرأة ، والطب الحديث يثبت خطل هذا الوهم ؛ ويقول إن هذا الاختلاف راجع إلى طريقة وعدد مرات المباشرة الجنسية .

فإذا كانت الحياة التناسلية سائرة مع الزوجين بانتظام ؛ فثق أن المنغصات التى يصادفها الأزواج عادة ؛ لايمكن أن توجد بحال ما . والغريزة الجنسية التى لها المقام الأول بين الغرائز استدامة ، لابد أن يكون لها الحكم الأكبر فى مصير الإنسان ، وكل من الرجل والمرأة يعز عليه أن يسرف مع رفيقه فى المباشرة الجنسية ثم تضطره الظروف القهرية إلى الامتناع الفجائى ، وهذا الامتناع وحده كاف لهدم التعاشر .

فإذا نظمت حياتنا التناسلية ، انتظمت نتيجة لها حياة الأسرة ، وهل الأسرة إلا مجموعة من الذكور والإناث فى أعمار متفاوتة قليلا ؟ وما المجتمع ؟ بل ما الإنسانية ؟ هى الذكر والأنثى فى الأول والآخر .

الفترات الأخرى :

فأما الامتناع الطبيعى عن المباشرة الجنسية الذى يصيب الإنسان عادة بعد الأربعين . ويبدأ ضعيفاً ثم يزداد قليلاً ؛ فلا يسبب أى فصم لحياة التعاشر ؛ ذلك لأنه يوجد عند كل من المرأة والرجل ، وليس عند أحدهما فقط ؛ والمعروف أن الاشتراك فى الشعور ؛ يزيد من التآلف ولا ينقصه . فليوجد الميل الجنسى إذاً حتى تقلل منه الطبيعة على التدريج ، أو قل حتى تعيده إلى ما كان عليه أولا . . . إلى « ميل الطفولة » ؛ فليس الشيخ إلا « طفل كبير » .

ماذا يجب علينا ؟

وأخيراً فعلينا أن نواجه الحياة على ماتشتهى هى ؛ لا على مايشتهى أصحاب الخيال ، لأن الحياة هى التى تسيرنا بقوانينها ؛ وفى جميع الأديان أن الإنسان مسير لامخير ؛ فإذا كان الأمر كذلك ، فمن السخف أن يشط بالإنسان الخيال ، فيذهب ليستنبط مثلاً لايمكن للإنسانية أن تحققها ؛ وصاحبها أول دليل تأخذه فى صالحنا ضد نفسه ؛ فهو غالباً كتلة شعور قذر فى ذاته وجوهره ، ولكن صناعته هى الخيال ، واصطناع التفكير الجديد مذهب يرهق به العالم ، وهو ليس بمستطيع تحقيقه .

وأخيراً فإن الميل نحو الجنس الآخر أصل الحياة ، أردنا أم لم نرد ، وعلى أساس تنظيمه تكون السعادة ، وبغيره يكون الشقاء ولو كره الخياليون .